مملوءا بالحزن والشكر الزائدين وكأن شفتيه كانتا تكرران هذه الجملة « لقد صنعتم حسنا » ولا شك أن أرواح هـذه الاموات البواسل كانت حزانى أيضا لفراقها قائداً عظيما مثل هذا ثم تلا الجنرال الضباط واحدا بعد الآخر منحنين وبيدهم المباخر وكلهم حزانى على المفقودين وكأن كل ضابط كان يقدم الكلمات الآتية الى أتباعه الموتى « لقـد حاربتم ببسالة وبرهنتم على نجاح تعليمى وأديتم خـدمتكم باخلاص وكنتم آلات مفيدة فى أيـدى جلالة الميكادو »

أما الجنود الذين عاشوا بعد هؤلاء والذين اشتركوا معهم فى المتاعب الحربية فمن المحقق أنهم حسدوهم على موتهم وتمنوا أن يمتازوا بالموت معهم. أما النقط التى بلت أكمام الضباط والجنود الذين انحنوا أمام هيكل الموتى لم تكن فقط من مطر السماء بل من لدموع أيضا

الفصل السابع عشر

واقعة تاپوشان

بعد أن طردنا العدو من (كنزان) بعـد محاولتهم عبثا اسـترجاع التل كان موقعنا يزداد منعة يوميا فمن جهة كنا نعمل كل اسـتعداد لحركة عدائية ولقد وضعنا اثنى عشر مدفعا كنا أخذناها فى (نانشان) على الارتفاعات بالقرب من (لوانشان) وستة مدافع أخرى بحرية ثقيلة وضعت غربى (شوشوانتزو) ومن جهة اخرى أرسلنا جماعات كشافة كثيرة للتحقق

من ترتيب قره قولات العدو وكانت قوة العدو الاصلية فى ذلك الوقت على التلول المنحدرة الواصلة بين (ينجشنجشو) فى الشمال و (شوانجتايكو) و(أنتشولنج) فى الوسط و(تايپوشان) و(لأوتسوشان)فى الجنوب وكانوا قد حصنوا هذه المواقع زيادة عن تحصينها الطبيعى مصممين ألا يسمحوا لنا بالتقدم حتى ولا خطوة الى جنوب هذا الخط ولذا كان من الصعب جداً الاستيلاء بالهجوم على هذا الموقع وقد انتظرنا نحو الشهر مستعدين للهجوم عند سنوح الفرصة وفى ٢٨ يوليو تحركت جميع القره قولات والقوة من موقعنا متحدين لمهاجمة موقع الروسيين فى الجنوب

أما غرض الآلاى الذى كنت تابعا له فهو موقع (تايپوشان)القوى الاستحكام والذى كان يتكل عليه العدو كأهم نقطة له فى الموقع الامامى ولقد شرح لنا ترتيب حملتنا فى الليلة السابقة للمحاربة وطلب القائد من الضباط والجنود أن يعملوا بكل مافى طاقاتهم وأن لا يقفوا الا بعد استيلائهم على الموقع قائلا أن هذه الموقعة هى أول خطوة مهمة الى حصار بورت ارثور الحقيقى واننا سنهاجم أقوى نقط العدو الامامية ولقد خطب فينا مير الاينا قائلا « ان هذه هى أول مرة سيحارب فيها آلاينا مجتمعا وان النصر النهائى للواقعة هو في الحقيقة المكتسب فى أول القتال ولئن كانت أرواحنا كلها فى يده يضحيها فى سبيل الوطن الا أنه لا يدخر اى وسيلة فى نجاتنا » وزاد على ذلك بأن قال « وان هذا هو الوقت المناسب للعمل بروح بوشيدو (روح المحارب اليابانى) الذى تعلمناه عن الآباء من قديم ويجب علينا أن نتذكر تعليماته كل يوم على العموم والتى أعطيت يوم سفرنا من طوكيو

بالخصوص حتى يمكنا أن نبذل أرواحنا فى تحقيق اتكال جلالة الميكادو علينا وأن نموت جميعا تحت علم آلاينا الشريف» وقد خيل لنا أننا اخذنا (تايبوشان) من قبل أن نبدأ بالقتال

أما منظر المعسكر فكان فوق العاده طول الليلة السابقة لمسيرنا فكانت الجنود فرحين مسرورين للقاء العدو البعض منهم بغير ملابسه التحتية حتى لا يرام العدو بعد الموت فى ثياب قذره وآخرون يترنمون بالالحان وفكر الجميع واحد عند الموت وهو «انى أديت واجبى ببركة السماء» وكان يوم ٢٦ يوليو كثير الضباب قبل الفجر بحيث كان غير ممكن أن نرى على بعد متر أمامنا وأبتدات آلاف المحاربين أن تتحرك الى الامام وفى الساعة ٣ صباحا وصلنا الى أسفل (ايوايامـا) الذى جعل لاحتياط آلاينا وكان موضع المناوشين على قمة هذا التل وعين تل آخر فى اليمين للطوبجية ولم يسمح لاى رجل أن يرفع رأسه من الخط الى أن تعطى اشارة افتتاح القتال وكان الجميع معمرين بنادقهم وصناديق ذخيرتهم مفتوحة بدون أن يتنفسوا منتظرين نداء اطلاق النيران من الميرالاى الذى كان واقفا على قمة الجبل والنظارة بيده وأركان حربه واقفا أمامه ومعه خريطة مفتوحة وخيول حملة الذخيرة كانت مجموعة فى أسفل التل وجنود الحملة منتظرين بتشوق الى ابتداء المحاربة وكنا جميعا ننظر للساعات فى ايدينا وقلوبنا تطرب كلما تقدم الوقت وفى الساعه ١١ و ٤٩ دقيقة سمعت أول طلقة من الجناح الايسر وهى الاشارة لابتداء المهاجمة ما بين (لاوتسوشان) و(تايبوشان) ولما لم تطلق طلقة واحدة لمدة ثلاثين يوما اخذت أول طلقة العدو على غرة منه ولذا اسرعوا بالرد الذى كان بصوت بطىء وكانت مقذوفاتهم

عالية تشرف على رؤوسنا وكان تصميمنا ان الجناح الايسر يهجم اولا ويهزم العدو الذى على (لا وتسوشان) وبعد ذلك يعززه فسمنا ولذا كنا مضطرين ان نبقى برهة بدون عمل نلاحظ نجاح هجومه على (لاؤتسوشان) وبعد زمن قصير ابتدأت مدافعنا الكبيرة أن تضرب بصوت هائل حتى انتظرنا أن العدو سينقهقر بعد قليل ويترك نقطه الامامية لنا كغنيمة باردة ولكنهم برهنوا أنهم أشجع مما نظن

وكان يزداد القتال احتداما كلما تقدم الوقت فكانت جميع طوبجيتنا تصوب نيرانها على طوبجية العدو والثقيلة الموجودة على سفح تل (لاؤتسوشان) الشمالى واجتهدت فى اسكاتها بشدة وبعد زمن قصير عندما فات نيران العدو ابتدأت بيادتنا فى اليسار أن تتقدم تحت حماية نيران طوبجيتنا وفى الحال احتلوا ارتفاعا على شكل هلال أمامنا على بعد الفى متر تقريبا وبعدها داروا حالا الى اليسار واحتلوا كتف (لاؤتسوشان) التمام فى الساعة ١٠ والظاهر أن الروسيين لم يدافعوا عن هذه المحلات بقوة عظيمة لانهم بعد بعض مقاومة تركوا القلعة الكبيرة التى كانت على موقع (لاؤتسوشان) المهم وفى هذا الوقت كانت مقاومتهم عنيفة جداً . ولما احتلت بيادتنا قمة التل كان قسم من العدو لم يزل لاصقا فى السفح الجنوبى ووافقا بدون خوف تحت نيراننا المصوبة اليهم وهذا كان السبب فى امتداد مدة هذه المهاجمة ومن أعمال هذا اليوم أن جناحنا الايسر نجح أيضا فى هزيمة وطرد العدو بعيداً من هذا المحل ولما وجد خليج (نوجو انجتانج) وظهره لم يمكنه التقهقر فى ذاك الاتجاه وعند ما ضويقوا بعد قليل أجبروا على ترك كثير من قتلاهم وجرحاهم

خلفهم أما الباقى ففروا الى المراكب الشراعيـة واختفوا فيها فى شاطىء الخليج الآخر

وبذلك انتهت مهمة الجناح الايسر وعندها حانت الفرصة العظيمة لمهاجمة العدو الآخر فأمر الاميرالاى (أوكى) جميع بوزباشيته بان يبتدئ جميع الخط باطلاق النيران وفى الحال رفع كل من ١ جى و ٢ جى أورطة فى اليمين والثالثة فى الشمال رؤوسهم وابتدأوا فى اطلاق النيران فرد عليهم العدو باطلاق بنادقه وابتدأت سلسلة خط نارنا تفلت حلقاتها هنا وهناك وكان حاملو النقالات يجرون الى كل مكان لنقل القتلى والجرحى لمحطة الاسعاف الاولى وليس فقط كانت أمطار رصاص البنادق تنصب علينا بل أيضا كانت مقذوفات مدافع كبيرة تفرقع فوق رؤوسنا ناشرة دخانا أبيض وقطع القنبلات تقع على الارض بثقل ودوى حافرة الارض وثاقبة رؤوس المحاربين وكانت ظروف القنبلات الفارغة تمر أحيانا على التل وتقع فى وسط أمداد جيشنا ولقد رأيت جنديا عند ما كنت فى الامداد اصيب بظرف فارغ من هذه فقد ذراعه ومات لوقته وعند ما فحصنا الظرف الفارغ الذى وجدناه داخله قطعة من كبود وقطعة من سترة وقطعة من قميص ولحما وعظما وقطع قميص وسترة وكبود أخرى كل ذلك مخلوط بحشيش وحصا وماطخ بالدماء كأنه علبة مأكولات مختلطة فظيعة واستمرت هذه المعركة عدة ساعات وكانت طوبجية العدو قوية جداً ولذا لم يتيسر لنا أن نتقدم وازدادت قتلانا وجرحانا عدداً بسرعة حتى ان النقالات الموجودة كانت غير كافية وقد لحقت المقذوفات محطة الاسعاف الاولى أيضا الموجودة بالخلف وهناك جرحت بعض جنود مجروحة ثانيا أو قتلت وبالاختصار

كانت محاربة يأس وقد أتى الامداد الى يسار موقع الطوبجية حتى يمكنهم تكوين قسم مهاجم بأى اشارة يتقدم نحو العدو عند سنوح الفرصة وكنت فى ذلك الوقت مع الاحتياط حاملا علم الآلاى وكان موقعنا مع الطوبجية وهذا العلم كان هدفا كبيراً للعدو فابتدأ الروسيون الموجودون في (وانجشياتون) فى الحال فى الضرب علينا بعنف وكانت نيرانهم محكمة التصويب تهطل علينا كالمطر من كل جانب وعندما انقشع الدخان رأينا ملازما كان منذ زمن قصير يأمر جنوده ببسالة راقداً مقتولا ومغطى بالدماء وقائد قسم الطوبجية وجنوده قطعوا اربا واخاخهم بارزة من رؤوسهم وأمعاؤهم مخلوطة بالطين والدم فتوجه امداد الطوبجية فى الحال لاخذ محل من ماتوا ولكن قتلوا أيضا ومنظر موى كهذا لا يمكن تحقيقه الا اذا شوهد بالعيان وان قلمى عاجز عن وصفه وقد تحمل أمدادنا خسائر ليست بقليلة أمام نيران العدو القوية وكان لا وسيلة لنا الا أن نهاجمه بيأس لانه كلما طال وجوده فى موقعه هذا الحصين يسبب لنا خسائر جمة وكان الجو مكفهرا مخيفا والريح الخفيف يجرى بجانب البارود والدخان والاعطار تهطل بميل مع الرصاص والقنبلات وبينما كانت تجرى هذه العوامل المرعبة صدر الامر لنا نحن الامداد بأن نلحق الميرالاى فتركنا الطوبجية وابتدأنا بالمسير نحو اليسار متسلقين الصخور وفى هذا الوقت فرقعت قنبلة فوق رأسى فقطعت جزءاً من العلم وقتلت رجلا

وكان الميرالاى على قمة (ايوياما) كما سبق وكان العدو متحققا من ان قوتنا كانت مجموعة هناك فاصلاها بقنابل حامية ومع ذلك كان الميرالاى (أوكى)

واقفا فى هذا الوسط غير مبال أو متحرك كأنه (نيو) أو (فوده) (آلهة يابانية) ناظرا للعدو بدون مبالاة وعندما قربت منه واخبرته عن قطع العلم قال فقط « أصحيح ذلك ؟» ثم أردف ذلك بقوله « ألم نكن هنا كأنا فى مناورة »

ولقد كان مملوءاً بسالة وقوة وهيئته الغير مبالية الحادثة كانت تشجع جميع من كانوا تحت قيادته حتى ولو فرض وجود من هو جبان فانه يرجع الى حميته ونشاطه عند رؤيته هكذا

وكانت الساعة ٢ بعد الظهر ولم تتحقق نتيجة المحاربة فقط كان قتلانا وجرحانا تزداد عدداً الساعة بعد الاخرى وفى هذه الاثناء أخذ جزء من جناحنا الايسر فى التحرك للامام وصدر الامر أيضا لقسمنا بالتقدم فقام جميع خط الجنود كبنيان مرصوص متقدمين بسرعة نحو أفواه البنادق والمدافع ولقد انتهز الروسيون هذه الفرصة لتقوية نيرانهم على الذين كانوا يتقدمون منا للامام يقتلون ولم يتأخر الا الذين قتلوا وفى أثناء ذلك خرقت رصاصة صدر الملازم (هاشيدا) ورغما عن ذلك استمر يصيح تقدموا ! تقدموا ! غير مبال بدمه المتدفق بدون أن يخبر جنوده بجراحه وكان يعدو الى الامام بحماس نحو الذى يترقاصدا العدو حتى اذا قرب من خط النار المقصود صرخ (بانزاى) ثم أغمى عليه فمات . وجنود الفائد الباسل هم أيضا بسالة فان أحد جنود (هاشيدا) قطع ذراعه لا عن قبل أن يصاب بملازمه ولكنه أبى أن يتخلف وعندما قال له الملازم « توجه الى محطة الاسعاف الاولى » جاوبه لماذا ؟ ألأجل هذا الجرح البسيط ولم أزل استطيع أن أحارب جيداً يا سيدى ؟ » ثم انه صب ماء من زمزميته وغسل جرحه وربطه بفوطة وأسرع فى المشي

للالتحاق مع المحاربين وبندقيته فى يده اليسرى وعند ما اقترب من خط العدو قتل بجانب الملازم (عاشيدا) الذى كان مولعا به هذا الجندى الشجاع وفى وقت موته كان قابضا على بندقيته بثبات وكلاهما أظهر روح محاربى اليابان الحقيقية وهى تأديه الواجب الى آخر لحظة وحتى بعد الموت» وأخيرا فلت الامدادات التى كانت تحت امرة الميرالاى (أوكى) حتى صارت بلوكين بيادة وواحد من المهندسين ـ فما كان أشأم هذه الموقعة ! اذ منذ الصباح كانت طوبجيتنا تحاول اسكات مدافع العدو القوية وكانت جميع مساعيها بدون جدوى لان مواقع العدو القوية بقيت بدون أدنى تلف فيالخيبة ! ولو ان بيادتنا صارت على بعد خمسمائة أو ستمائة متر من العدو فقط ولكن ان لم تهدم طوبجيتنا جميع استحكاماته الدفاعية والهجومية والا كانت نتيجة هجومنا هى فقدنا عن آخرنا ولذا كانت جنود بيادتنا منتظرة بفروغ صبر مجىء الوقت المناسب بالقرب من العدو ثم دخل الظلام فغطى منظر الموقعة الفظيع وكانت المئات من الجثث ملقاة على التل وفى الوادى وفلاع العدو مرتفعة الى الاعلى فى السماء المظلمة كأنها كانت تدعونا للمبارزة بدون فائدة وحميتنا مع ذلك لم تفتر بالمرة وبالعكس فان عدم نجاحنا فى هذا اليوم جعل عندنا أملا فى أخذ موقع العدو فى اليوم الثانى ولقد قعدنا بجانب موتانا تلك الليلة منتظرين بزوغ شمس اليوم الثانى لتنفيذ عزيمتنا وكان اطلاق النيران لم ينقطع طول الليل